

علم من أعلام العربية الخالدين

الأمير مصطفى الشهابي

للباحث اللغوي الأستاذ

صلاح الدين الزعبلوي

نسب الفقيد؛ وأهم الأحداث في مراحل حياته:

يرقى نسب عالمنا العلامة؛ المتبحر المتعمق، الموغل في البحث، الممعن في التدقيق، إلى أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين، الذين أمّوا بلاد الشام في الفتح الاسلامي الذي قاده أبو عبيدة بن الجراح، فحكموا وادي التيم في سفح جبل الشيخ، جبل حرمون، في لبنان حتى عام (1870) للميلاد.

وقد ولد عالمنا الركن، عام تسعين وثمانمائة وألف للميلاد الموافق لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة، في بلدة حاصبيا موطن بني شهاب من وادي التيم، من أعمال دمشق يومئذ. وقد قصد بعلبك مع أبيه، وكان هذا موظفاً في مالية ولاية سورية، وتلقى علومه الأولية فيها، ثم قصد دمشق عام خمسة وتسعمائة وألف للميلاد فكان طالباً في المدرسة البطريركية الكاثوليكية، تلقى فيها دروسه في العربية والفرنسية ومبادئ العلوم.

ولانسن أن عالمنا الفذ كان أخصاً للشهيد الأمير عارف الشهابي، أحد الكتاب والشعراء، وصاحب كتاب (تاريخ الاسلام). وهو من المشاركين في إنشاء (المنتدى الأدبي)، ومن أعضاء جمعية (العربية الفتاة) السرية. وقد حوكم في (عاليه) من لبنان، أواخر عهد الدولة العثمانية، وأعدم شنقاً في بيروت عام ستة عشر وتسعمائة وألف، خلال الحرب العالمية الأولى.

التحريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

قصد عالمنا الأمير مصطفى مع أخيه الأمير عارف، سنة سبع وتسعمائة وألف، الأستانة، عاصمة الدولة العثمانية، ودخل مدرسة إعدادية درس فيها الفرنسية، وكان أخوه طالباً في المدرسة الملكية العالية بالأستانة، فدرس عليه اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب والإسلام، ثم عاد الأخوان إلى دمشق، وما لبث فقيدها الأمير مصطفى أن دخل المدرسة السلطانية الثانوية بدمشق (مكتب عنبر)، سنة عشر وتسعمائة وألف للميلاد، فاستقرَ فيها عاماً ثم اختارته جمعية أهلية من قادة الفكر ليكون أحد أفراد البعثة التي أوفدت إلى فرنسا لمتابعة التحصيل العالي. وما فتى أن حاز بعد سنة، شهادة الدروس الابتدائية العليا، ثم دخل مدرسة (غرينوبل) الزراعية العليا، فحصل فيها على شهادة مهندس زراعي عام أربعة عشر وتسعمائة وألف.

عاد فقيدها في السنة نفسها إلى الأستانة فتقدم إلى فحص شهادة التعادل العثمانية ونجح فيه، ثم حال اندلاع الحرب العالمية الأولى دون متابعة مسيرته العلمية فاضطر إلى دخول المدرسة الحربية في الأستانة ليرشح إلى رتبة ضابط احتياط، وما لبث أن انتقل بعد ذلك إلى مدرسة البرق والهاتف الحربية فحاز منها بعد ستة أشهر رتبة وكيل ضابط فأرسل إلى القدس قائد فصيل في سرية البرق، فترجماناً في رهط الإشارة اللاسلكية بدمشق، فحاز فيها رتبة ملازم.

ولم تقبل سنة ست عشرة وتسعمائة وألف حتى عين فقيدها قائداً لسريتين زراعتين في مرج ابن عامر ببيسان ومجدل طبرية، واستمر كذلك حتى عام ثمانية عشر وتسعمائة وألف إذ عُيّن فيها مديراً لزراعة الجيش في دمشق. وقد تبوأ الحكم في دمشق هذا العام بعد جلاء الجيش العثماني الحكومة العربية فكان مديراً للزراعة فيها، وتقلد في الحكومة مناصب عدة فكان مديراً للزراعة والحراج حتى عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة وألف، فمديراً لأملاك الدولة حتى عام (1934) فمديراً للاقتصاد الوطني حتى عام (1935)، فوزيراً للمعارف عام (1936)، وكان أحد أعضاء الوفد السوري المفاوض في المعاهدة السورية الفرنسية، وقد شغل منصب محافظ حلب بين عامي (1937 و 1939) فمُنصب وزير المالية (1943 - 1945) فالأمين العام لرئاسة مجلس الوزراء (1945) فمحافظ حلب (1946 - 1947) فمحافظ اللاذقية

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

(1948 - 1949) فوزير العدل (1949) فوزير سورية المفوض بمصر (1951 - 1954) فسفير سورية فيها. وقد قلّدتَه الحكومة المصرية الوشاح الأكبر مع الرصيلة لوسام النيل. وقد خَلَفَ في مناصبه هذه التي تولّاها مآثر كتوزيع أملاك الدولة في القرى على الفلاحين، وتشديد دار الكتب الوطنية بحلب ودار الكتب الوطنية باللاذقية.

ولم يقف فقيدنا في تحصيل العلم عند الحدّ الذي ذكرناه بل تَصَلَّعَ من العربية فأصبح فيها من المحققين، كما تبسط في الفرنسية والتركية ففاص على دقائقيهما وألّم بالانكليزية فجعل يتحدّث عن بعض مؤلفاتها ككتاب (الأغنياء والفقراء) لمؤلّفه هربرت جورج ويلز الأديب الانكليزي الكبير، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ زكي نجيب محمود، وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة وجعلته حلقة من سلسلة الكتب المترجمة بعنوان (عيون الأدب الغربي) وعقب فقيدنا على الترجمة فقال إنها حسنة، لكنه أخذ على المترجم بعض الأخطاء اللغوية وأشار إلى الصواب فيها. ذلك ماجاء في مجلة المجمع العلمي العربي لشهري تموز وآب عام 1941 الموافق لرجب وشعبان سنة 1360 للهجرة.

وأوغل فقيدنا في البحث، كما بدا ذلك جلياً فيما كتب وحاضر وألّف حتى غدا من أهل النظر والراسخين في العلم، وقد بوّأته منزلته العلمية هذه تولّى المناصب الجليلة التي ذكرناها.

وتابع فقيدنا الكتابة في أشهر الصحف والمجالات العربية فدلّ على أنه أديب بارع، غزير المادّة واسع الاطلاع قويّ الملكة. وقد شفع بديع أدبه بمقالات علمية ولغوية فكان من العلماء أرباب الاجتهاد وأهل النظر والعلم الثاقب. وقد عَقَّبَ في مجلة المجمع العلمي العربي (جزء شهري تشرين الثاني وكانون الأول 1942، الموافق لشهري شوال وذي القعدة 1361 للهجرة) على كتاب الأستاذ قدري حافظ طوقان (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك)، ومما قاله: "كنت أقرأ في أجزاء المقتطف بعض أبحاث هذا الكتاب فأسر لما اشتملت عليه من تحقيق دقيق يُنبِت فضل العرب على العلوم الرياضية. وقد علق بذهني أن السيد قدري حافظ طوقان، وهو أستاذ الرياضيات في كلية النجاح بنابلس وعضو في جمعيات العلوم الرياضية في

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

انكلترة وأمريكة، يعالج هذه الموضوعات معالجة الاختصاصي القادر على تمييز الغث من السمين فيما بقي سالماً من كتب الأجداد وأبحاثهم الرياضية والفلكية"، وأردف" وقد تكلم المؤلف على نحو - 135 - عالماً عربياً وإسلامياً كالخوارزمي والكندي وابن هيثم البتاني.."، ثم خلص إلى القول: "وبعد لقد سَدَّ هذا الكتاب الثمين فراغاً مهماً في خزانة كتب السلف، فخليق بكل عربي مثقف أن يقرأه وأن يطلع فيه على مآثر أجداده في هذه الناحية من المعارف البشرية".

وقد أهل فقيدنا علمه الواسع هذا، أن يكون في عداد المجمعين الخالدين، إذ انتخب عام 1926 للميلاد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، كما غدا عام 1948 عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بمصر، ومالبت أن تحول فيه إلى عضو عامل.

وقد قام بتمثيل جامعة الدول العربية غير مرة في حلقة الدراسات الاجتماعية وانتخب عام 1953 رئيساً للمواصلات الدائمة في الجامعة. ومن الجدير بالذكر أن فقيدنا قد انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد أجمع أعضاء المجمع على انتخابه هذا عام (1959)، فكان خلفاً للرئيس الشاعر المبدع خليل مردم بك، وقد جدد انتخابه لأربع سنوات أخرى عام (1963) كما جدد ثالثة عام (1967). وكان قد انتخب قبل ذلك عام (1961) عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العراقي.

وتبوأ فقيدنا منصب عضو في مجلس المعارف الأعلى في سورية، وعضو في مجلس إدارة المتاحف والآثار، وعضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في دمشق والقاهرة، وقد منحه الجمهورية العربية السورية عام (1966) جائزة الدولة التقديرية لعام (1965) فكان أول من منح هذه الجائزة من الدولة.

وكانت اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية في لندن، قد قررت عام 1964 انتخابه عضواً مشاركاً فيها، فوجهت إليه رجاء بالقبول فقبل.

حظ الفقيد من العلم عامة واللغة خاصة:

توفر حظ فقيدنا من علم الزراعة، فقد تقف هذا العلم وحذقه ومهر فيه، كما شهد بذلك علماء هذا العلم وأربابه في بلاد الشام، وقد عُذَّ أكبر عالم زراعي في عصره، في الوطن العربي، فضلاً عما استحدثه من المصطلحات الزراعية. وقد جاء في معجم الحيوان المؤلف الدكتور أمين المعلوف،: "لايختلف اثنان في أن الأمير مصطفى هو علامة العربية الأوحده في المصطلحات الزراعية وأنه فيها نسيج وحده" فقد وقف على ذلك جهده واستنزف فيه أيامه حتى ملك عنانه وقياده، وقد سلخ من حياته سنين عديدة يدرس نباتات الشام الزراعية وحشراتة وحيواناته الأهلية وطيورہ. بل ذهب بعيداً في دراسة اقتصادياته ومياهه، واستطاع أن يُفيد من علمه هذا بتطبيق العلوم الزراعية في الشام، سواء في أعماله الحكومية التي تولاها أم في مؤلفاته الزراعية الجليلة الغزيرة المادّة التي استوعب بها أصول العلم وأحاط بمسائله. وليس هذا فحسب بل مضى في نقل العلوم الزراعية الحديثة إلى العربية فتحرى من ألفاظ المعاجم العربية أصلحها، ومن كتب النباتات والحيوان والزراعة القديمة أولاها. وقد أخلّى لذلك ذرعه وقصر عليه نفسه وخلا لطلبة فافاد من ذلك في اصطناع المصطلحات العربية إزاء الكلم الفرنسية.

وكان ثمة نباتات زراعية تجهلها العرب فعمد فقيدنا إلى اصطناع أسماء عربية أو معرّبة، على نهج اختطه بالعودة إلى الاسماء العلمية التي سُميت بها هذه النباتات واستبداء معانيها الأصلية أو العمد إلى تعريبها إذا دلت على أعلام، وبهذا نجح فقيدنا في زيادة العربية ثراءً بضم الألفاظ المقترحة إليها.

وقد عمد فقيدنا إلى نشر مصطلحاته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. ومجلة المقطف في القاهرة، قبل أن يودعها معجمه المعروف، معجم الألفاظ الزراعية، الذي طبع بدمشق عام (1943)، ثم أعيد طبعه منقحاً مزيداً بألف مادة جديدة بالقاهرة عام (1957) بما تهيأ من عون الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

ومما جاء في مجلة المجمع العلمي العربي مثلاً (جزء آذار ونيسان 1944 الموافق لشهر ربيع الأول والآخر 1363 للهجرة) مقال له بعنوان - أسماء نباتات مشهورة - تحدث فيها عن لفظي (البنادورة والطماطم) فأشار إلى أن الأول شائع في الشام، والثاني في مصر، وتحدث عما يقابل ذلك في الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية وفي اللسان العلمي، وكذلك فعل في لفظ (البطاطا) الشائع في الشام، و (البطاطس) الشائع في مصر، وما يقابل ذلك بالفرنسية وباللسان العلمي، ومضى يتحدث عن نباتات أخرى في نحو ست صفحات من المجلة.

وهكذا فعل في (جزء أيار وحزيران 1944) من المجلة فتحدث عن الذرة الصفراء أو الذرة الشامية، وعن الفصصة والبيقة أو البقية والتبغ والتبناك. ومضى في (جزء أيلول وتشرين الأول 1945) فتحدث عن ألفاظ التصنيف في الفقاريات أو الفقريات كالأسماء والضفدعيّات والزحافات، وختم حديثه بالكلام على (الطير).

وقد قام مجمع اللغة العربية في القاهرة بوضع كثير من المصطلحات العلمية، وشارك فقيدنا في ذلك، وهكذا عُرف أميرنا أنه من جهاذة أهل النظر وذوي البسطة في وضع المصطلحات العربية، وانتهاج خطة في هذا المضمار. وقد بدا ذلك واضحاً في كتابه الشهير (المصطلحات العلمية في اللغة العربية، في القديم والحديث). وقد استوعب الكتاب عشر محاضرات ألقاها فقيدنا عام (1955) على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية العليا، وهو من مؤسسات جامعة الدول العربية. ويُعدّ هذا الكتاب النفيس الجامع نسيج وحده. وقد فات فقيدنا أقرانه وتميّز عن النظراء في رسم الطرق التي نهجها في وضع المصطلحات، والكشف عن تطوّر اللغة العربية باستيعاب العلوم القديمة والحديثة. وقام معهد البحوث والدراسات العليا في القاهرة بطبع الكتاب فجاء في (135) صفحة، وعمد المجمع العلمي العربي بدمشق إلى إعادة طبعه (1988)، كما أشارت إلى ذلك مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء 1 - المجلد/ 68 - لشهر رجب 1413 وشهر كانون الثاني 1993)، فجاء في (209) من

التحريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

الصفحات. وقد عدّ هذا الكتاب الدليل المرشد إلى أفضل السبل في اصطناع المصطلحات العلمية باللغة العربية، بشهادة المجمعين وأساتذة الجامعات وكبار المتخصصين من الأدباء.

فقيدينا والشاعر خليل مطران

أهدى فقيدينا نسخة من كتابه (معجم الألفاظ الزراعية) إلى شاعر القطرين خليل مطران، وكان هذا أميناً للنقابة الزراعية بمصر، فنظم شاعر القطرين أبياتاً في مدحه، بعث بها في رسالة إليه، في شهر تشرين الثاني عام (1945)، ومن هذه الأبيات:

يا أميراً أهدى إلى لغة الضاد	كنوزاً من علمه وبيانه
ذلك المعجم الزراعي قد كان	رجاءً حقّقته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلّا	مجمع بالكثير من أعوانه
دمت ذخراً له مآثر في	نفع هذا الحمى وفي رفع شأنه

فقيدينا وصاحب البيان شكيب أرسلان

ألقي الأمير شكيب أرسلان في المجمع العلمي العربي بدمشق محاضرة أدبيّة، ملك بها الأسماع والقلوب، وبادر فقيدينا إلى شكره وامتداحه، فكتب إليه الأمير شكيب رسالة شكر، في شهر رمضان من سنة (1351) للهجرة جاء فيها:

"وما أريد الآن أن أتواضع لأزداد تمدحاً، ولا أريد أن أقابل ثناء بثناء، ولكني أقول مقالة معترف بالحقائق رائز للوقائع: أين المثنى عليه من المثنى في تحقيقاته العلمية وتدقيقاته التاريخية وملاحظاته الأدبية وتقريراته الزراعية وبحاره الزاخرة. إنه الأمير حقاً وعالم الأمراء فعلاً، وإنني مع شيخوختي هذه لراضٍ أن أنضوي تحت لوائه، كما انضوى شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة...".

فقيدينا والدكتور منصور فهمي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

كان دأب فقيدينا أن يعقب على كثير مما كان ينشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة حول المسائل اللغوية، فكتب إليه الأمين العام للمجمع القاهري الدكتور منصور فهمي؛ في كانون الأول من عام 1949 يقول في رسالة إليه: "وإني لأشك أن إخواننا في المجمع سيجدون أكبر الفوائد في بحوثكم القيمة وتوجيهاتكم الطيبة، والله أسأل أن يمدّ في نشاطكم المبارك لخدمة العلم، وأما اقتراحكم الخاص بالنسب إلى كلمة - كيمياء - فقد استعرضت لجنة الأصول ما كتبتموه في شأنها، وما جاء في بحث الأستاذ الكرملّي، ومانصت عليه المعجمات القديمة ورأت أنه يجوز في النسب إليها إثبات الهمزة وقلبها واواً وترى أن القلب أولى".

ولفقيدينا مقالات بعنوان (نظرة في مجلة فؤاد الأول للغة العربية في مصر) كان يعقب فيها على ما ينشر في المجلة المذكورة. ومما جاء من ذلك في جزء أيار وحزيران من عام 1942 قوله: "أصدر مجمع فؤاد الأول للغة العربية أربعة مجلّدات في مجلّته..". ثم قال: "أنعمت النظر في ألفاظ علم الأحياء التي نُشرت في المجلّدات في مجلة مجمع فؤاد الأول، وفيه ما يُعدّ من العلوم الزراعية الداخلة في نطاق اختصاصي، فأنفيت فيها هناتٍ يجب الإشارة إليها، ومصطلحات أعتقد أن غيرها أجود منها، وهاكم بعضها.." ومضى يعقب فيختار مثلاً لفظ - علم الحياة - على - علم الأحياء - في ترجمة (بيولوجيا)، ويؤثر لفظي (الانحطاط والدناية) على (النكس والتتكس)، وهكذا يستحب لفظ (الطاقة) على (المقدرة أو الاقتدار أو النشاط) ترجمة للفظ الفرنسي (energie).

كما عقب في جزء تموز وآب عام 1942 من مجلة المجمع العلمي العربي أو جزء جمادى الآخرة ورجب سنة 1361 للهجرة، على لفظ (الجديلة) أو (العش) بيتاً للدجاج فأثر (الخُم). وعقب على ألفاظ كثيرة من هذا القبيل، في نحو خمس عشرة صفحة من صفحات المجلة.

وهكذا فعل في مقالٍ له نشر في جزء أيلول وتشرين الأول عام 1942 للميلاد، أو شعبان ورمضان سنة 1361 للهجرة، فعقب على ما أسموه الحيوانات (المشقوقات اليد) فأثر على هذا

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يوليو 1997

اللفظ (الظُلْفَيَات)، وما أسموه (الخَفَاشِيَات) فجعل الصواب (مجنحات اليد)، وعلى ما أسموه (الحافريَّات) فجعل الصواب (مفردات الأصابع)، ومضى يعقّب نحو ذلك في سبع صفحات من المجلة.

وكذا الأمر في مقال له في جزء ك2 وشباط 1943 وهو جزء ذي الحجة سنة 1363 والمحرّم 1364، ومما قاله فيه: "ومما يُتْلَج الصدر أن المجمع - القاهري - لم يتعصّب لبعض المصطلحات المرجوحة التي نبهته إليها في هذا البحث فعُدل قسماً منها على حسب ما اشرتُ إليه...".

فقيدنا والعلامة المعروف الدكتور أحمد زكي

كتب الدكتور أحمد زكي في جريدة الشعب القاهرية، بتاريخ الثامن من آذار عام 1958، عند صدور الطبعة الثانية من معجم فقيدنا الزراعي، مقالاً بعنوان - مجمع دمشق ومجمع القاهرة، عالم من دمشق جدير بالتنويه - جاء فيه: "...وعالم فح هو أحد علمائهم، وهو في علم الحياة أحسبه أوسع علمائهم علماً باللغة، وهو على كل حال عالم فرد فذ في ذاته، غير مقارنٍ بغيره ولا منسوب، فهذا العالم الأحيائي جمع وحده شيئاً كثيراً من مصطلحات علم الحياة وجمعها في معجم، وصفه بأنه معجم صغير، فبلغ نحواً من ثمانمائة صفحة من القطع غير الصغير، فهذا هو أخونا الأمير مصطفى الشهابي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق...".

فقيدنا الغالي والأديب المفكر المترسل الأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد في مجلة (الزيت) الظهرانية، في مجلدها الحادي عشر مجلد تموز وآب لعام 1963 مجلد شهر ربيع الأول سنة 1383 للهجرة، بعنوان - كتاب الشهر - كتب الأستاذ الكبير متحدثاً عن معجم المصطلحات الحراجية لفقيدنا، وكان المجمع العلمي العربي قد طبعه عام 1962، كتب يقول: "وليس هذا المعجم، في الواقع بالجديد بالنسبة

التعريب العهد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

إلى العالم الباحث، مؤلفه القدير، سواء في الكثير من مفرداته، أو في الطريقة العلمية التي يتوخاها عند نقل المصطلحات أو تعريبها أو وضعها، بما هو معروف عنه، من سعة المعرفة بعلمه وفرط الغيرة على لغته وحسن التصرف في أدائه لعبارته، وقد أطلعنا على هذه الطريقة في معجمه السابق للألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية، على شيء من تفصيلاتها التي يعرضها للمناقشة في جلسات المجمع اللغوي، وهو علم من أعلامه النابيين الذين يحضونه أكبر العون في علم النبات خاصة، وفي غيره من العلوم على الإجمال".

ومضى الأستاذ العقاد في مقاله فخلص إلى قوله: "وليس لنا أن نحكم على المعجم من ناحيته العلمية النباتية، وإن كنا نعرف رجاحة المؤلف الكبير في علمه، من متابعة المناقشات التي تجري بينه وبين فطاحل علماء النبات، خبراء هذا العلم، في لجان مجلس المجمع وفي جلسات مؤتمرات العامة، ولكننا من الناحية اللغوية نلمس دلائل الكفاية التي يتطلبها تأليف أمثال هذه المعجمات، وتزداد الحاجة إليها، كما ذكرنا في مستهل هذا المقال، عاماً بعد عام... وهي كفاية تمهّد للمؤلف الكبير، الاطلاع والمثابرة على المراجعة في أبواب من الثقافة لاتتصل جميعاً بثقافة فنه. ولاشك أنه اطلع يُسعه الحب والرغبة، إلى جانب الفهم والدراسة، تلك الرغبة التي استمدها من قدوة أخيه - عارف الشهابي - شهيد القضية العربية الذي قال في إهدائه معجم الألفاظ الزراعية: إنه علمني أن أحب لغتنا الضادية وأن أبذل جهدي في خدمتها...".

فقيدنا والدكتور أمين باشا المعلوف

وقد تحدّث فقيدنا عن الدكتور المعلوف في (جزء أيار وحزيران 1943، وربيع الآخر وجمادى الأولى 1362) من مجلة المجمع العلمي العربي، فقال: "منذ سنة 1908 بدأ الفقيد ينشر في المقتطف أبحاثه في أسماء الحيوانات، وقد قرأتها بعد بضع سنين.. فأكبرت ما فيها من تحقيق علمي دقيق.. وهذه الأبحاث الثمينة هي التي جمعها المقتطف وطبعها سنة 1932، فكان منها معجم الحيوان ومنذ 1924 بدأ الفقيد الكريم يرسلني من بغداد ثم توشجت عرى

الصداقة بيننا، واجتمع لديّ من رسائله جملة حوت أبحاثاً لغوية علمية وملاحظات صائبة على كثير من غلطات الكتاب والمؤلفين وأصحاب المعجمات الأعجمية العربية، ولم يقتصر في تنقيباته وتحقيقاته على الألفاظ العربية المتعلقة بالحيوانات، بل تناول بالبحث والتقدير اصطلاحات علم النبات فنشر منها في المجلدين السابع والثامن من مجلة المجمع العلمي العربي عدداً يعدّه العارفون من أجل الاصطلاحات النباتية وأدقّها.. ومما سمت إليه همته أيضاً ألفاظ كثيرة من النجوم الثوابت... وانتهى به درس هذه الألفاظ إلى وضع معجم فلكي إنكليزي عربي طبعه سنة 1935... ولقد كان رحمه الله من أصدق الناس وطنية وأسماهم أخلاقاً وأخلصهم للقضية العربية... خدم بلاد العرب في الجيش المصري وفي الثورة العربية وفي الجيش العراقي، وخدم لغة الضاد في جميع أوار حياته، فكان في كل ذلك نعم الخادم ونعم الصديق الأمين".

فقيدنا والأب العلامة أنستاس ماري الكرملّي

وقد جاء في جزء مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق لشهري تشرين الثاني وكانون الأول من عام 1943، الموافق لشهري ذي القعدة وذي الحجة من سنة 1362 للهجرة، مقال لفقيدنا جاء فيه: "نُشرت، في مجلة مجمعنا، في باب الأنباء والآراء من الجزء التاسع والعاشر، كلمة للعلامة الأب أنستاس ماري الكرملّي بعنوان - تصحيحات لأغلاط العلامة الشهابي، كل مافيهما أنه لا يوافقني على كثير مما خطّات به مجمع فؤاد الأول في سلسلة مقالاتي التي عنوانها - نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول - وعسى أن ينشر الأب المحترم رأيه فيما لا يوافقني عليه لأرى ويرى قراء مجلتنا هذه أننا المخطيء أم المخطيء الأب المحترم".

فقيدنا الغالي والقضية العربية، موقفه من القومية العربية

كان لفقيدنا القدم السابقة الفارعة في الدعوة إلى القومية العربية، وله في هذا المضمار قدحُه المملّي. ويبدو ذلك جلياً في انتسابه إلى بعض الجمعيات العربية العلنية منها والسريّة، التي قامت منذ أوائل القرن العشرين، في كل من دمشق والآستانة. وقد نهج في ذلك نهج أخيه

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

الشهيد الأمير عارف الشهابي الذي بذل الروح فاستشهد في سبيل الدعوة إليها. ولكن فقيدنا جرى في هذا المضمار مجرى المتفهم المتدبر الذي يتلمس الأمر من مظانه ويتبغيه من معالمه، فلم يسع في ذلك سعي الغاضب النائر المتأجج. وتجلي ذلك واضحاً في انتهاجه نهج السفارة بين إخوانه الوطنيين والحكام الفرنسيين، ونصحه لهؤلاء بالاقلاع عن العنف، والإنصاف في ابتغاء مصلحة الاستعمار، والتطلع إلى يوم لا بد فيه من استقلال البلاد ونزوح المستعمرين.

ولم يخف فقيدنا عداؤه للاستعمار والمستعمرين وكان يرى أن معظم الحروب الحديثة يومئذ كانت بسبب ذلك، كما أوضح هذا في كتابه - الاستعمار - الذي حمل فيه على الاستعمار، وكشف عن زيف نظرياته، وطعن فيه وشنع عليه، وأقام البرهان على ما ينطوي عليه من سيئات تعود بأقبح الهنات والمضار على المجتمع البشري.

فقيدنا ومفهوم العروبة والجامعة العربية

وفي تحديد المنتمين إلى العروبة كان لفقيدنا رأي في ذلك يتلخص بأن العربي هو من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً. وقد قام حول ذلك جدل طويل بينه وبين رواد العروبة الآخرين. وقد تحدث فقيدنا عن القومية العربية وتاريخها وقوامها ومراميها في محاضرات ألقاها في معهد البحوث والدراسات العربية العليا بالقاهرة، وهو من مؤسسات جامعة الدول العربية، وقد قام المعهد بطبع هذه المحاضرات عام 1959.

وعمد فقيدنا، نهوضاً بكيان العروبة، إلى الدعوة لتأسيس جامعة الدول العربية على أن يبدأ باتحاد الدول العربية ثم يتدرج الاتحاد إلى الوحدة وأعلن عن رايه هذا في مقال له نشرته جريدة الأهرام العربية، قبل نحو خمسة عشر عاماً من تأسيس جامعة الدول العربية.

وكان فقيدنا يؤثر أن ينصرف العرب إلى الدعوة إلى ما ينهض ببلادهم من انتظام ألفتهم واتصال حبل شملهم، والتجافي عن الدعوة إلى مبادئ مستوردة، كالدعوة إلى ما يسمونه

بـ (الإنسانية الشاملة) هذه الدعوة التي ينادي بها الغربيون ليستميلوا إليهم الشعوب الضعيفة، وهي دعوة جذيرة أن تصدر عن الشعوب المستقلة القوية، دون الشعوب التي قصارى جهدها أن تبتغي استقلالها وتكافح دونه، لاسيما أن معظم الشعوب الغربية إنما تنزع إلى الاستمساك بمبادئ القومية المتطرفة التي تجرّها إلى الأثرة والغطرسة والتهيه والشموخ وتغريها بالاستعمار .

فقيدينا والمواهمة بين القومية العربية والدين الإسلامي

وكان فقيدينا يؤمن بالرحم الشابة بين القومية العربية والدين الإسلامي، وأن القومية العربية مدينة بنهوضها وتألّفها للدين الإسلامي لاسيما في مطلع عهودها وفجر تاريخها، ولايمنع ذلك من أن تنهض العروبة في عصرنا على مبادئ قومية تجمع بين مسلمي العرب ومسيحيهم والمستعربين .

وقد تحدّث فقيدينا في كتابه (القومية العربية) فأوضح أن القومية العربية ليست صيغة ولا مذهباً محدوداً قوامه الأثرة والتعصب والبغضاء، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدّمية تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ووطنه العربي، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة، وإلى العمل التقدّمي لحاضرها ومستقبلها، كما تدعو إلى محبة الإنسانية، وإلى خير البشرية، وإلى حق كل شعب على الأرض في تقرير مصيره.

شمانل الفقيد وولاتقه

ذراً الله فقيدينا وخلقه خلقاً سويّاً فكان قوي البنية شديد الأسر مُدمج الخلق طويل القامة أشقر الشعر أشهل العينين حاد البصر قصير الرأس متسع الجبهة دقيق العظام صلب العضل مستقيم الأنف ..

وكان صادق العزم ثابت العقد راسخ العزيمة ماضي الصريمة لطيف الحسن رحب الصدر واسع العلم مُرهف الذهن دقيق الفهم يقظ الفؤاد.

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

وقد شهد له صحبه ببعد الهمة ورفعة الأهواء وطموح النفس وخطورة المسعى، والترفع عن الدنيا والكف عن الغواية والخفض من الغلواء.

وقد ورث من أجداده ما يلزم مناصب الحكم من المناقب كالصدق فلا يجري لمسانه بغير الحق، والمناصحة فلا يشير إلا بما هو أجمل في السمعة وأحمد في العقبى، والثقة بمن هو أهل للثقة يُفَضَّى إليه بالسر ويخلد إلى رأيه وتدبيره، والإغضاء عن الخطأ والتجاوز عن الهنات وتناسي مافات من الذنب، وتلقي الإساءة بالحلم.

هذا إلى الوداعة والتواضع وملازمة الاستقامة والتزهد عن مظان الزور، لا يُثْبِتُهُ في ذلك لومة لائم.

ذلك فضلاً عما عرف عنه من طيب الأحدثنة وجمال السمعة والترفع عن حب المال والركون إليه.

وقد اشتهر بهذا كله فيما تبوأ من مناصب الدولة الرفيعة خلال ثلاثين عاماً، وعاش حياته لايملك إلا الدار التي كان يسكنها في جبل قاسيون بدمشق، هذه المدينة التي كلف بحبها وأوصى أن يُدفن في تربتها.

ولا غرابة لمن يتصف بهذه المكارم أن يكون بين أقرانه نابه الذكر طائر العيت يُرمى بالأبصار وتمتد إليه الأعناق، وقد مهّد ذلك له القيام بأعمال اتسمت بالإصلاح والعمران.

نعي الفقيد

نُعي فقيدنا في مجمع اللغة العربية عصر يوم الاثنين الثالث عشر من شهر أيار عام 1968 للميلاد، الموافق للخامس عشر من صفر سنة 1388 للهجرة، فاستيقظت دمشق صباح نعيه تبكي مكارمه وعلمه وغيرته على العربية، وتوافد كبار القوم من علماء وقادة فكر ورجال دولة على داره ينهضون بواجب التعزية لأسرته وصحبه أعضاء مجمع دمشق.

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

وقد مشت دمشق بعلمائها وأعلامها وأعيانها وأفاضلها ومشاهيرها وفحولها وراء نعش الفقيد بموكب مهيب إلى مثواه الأخير، في جبل قاسيون مثنو فقيدنا الغالي الوجيه الخطير العظيم الشأن البسيط الجاه الرفيع الدرجة والمنزلة.

وقد وقف أمام هذا الجمع الحاشد الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق، الدكتور عدنان الخطيب، رحمه الله، يرثيه وينوّه بعلمه وفضله ومحامده ومآثره، مردّداً قوله في الشذرات "التفت إلى دمشق فإذا بها غرقى في خضمّ أخضر كأنها ياقوتة في نثر من الزمرد، والجامع الأموي يبرز عظيماً جبّاراً بمآذنه الشاهقة وقيبه العالية".

هناك أقيم قبر فقيدنا العالي وكتب عليه بوصيّة منه بيت من نظمه يقول فيه.

أمّ اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيعه في غفران ذلّتي

مراجع البحث

- 1 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بشهري تموز وآب عام/1941، الموافق لرجب وشعبان سنة 1360 للهجرة).
- 2 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بشهري تشرين الثاني وكانون الأول عام 1942، الموافق لشهري شوال وذو القعدة سنة 1361 للهجرة).
- 3 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بآذار ونيسان عام 1944، الموافق لشهري ربيع الأول والآخر سنة 1363 للهجرة).
- 4 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بأيار وحزيران عام 1944، الموافق لجمادى الأولى والآخرة سنة 1363 للهجرة).
- 5 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بأيلول وتشرين الأول عام 1945).
- 6 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء الخاص بشهر كانون الثاني عام 1993).
- 7 - مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر (الجزء الخاص بأيار وحزيران عام 1942).
- 8 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بشهري تموز وآب عام 1942).
- 9 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بشهري ايلول وتشرين الأول عام 1942).

التعريب العدد الثالث عشر - حزيران/يونيو 1997

10 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بشهري أيار وحزيران عام 1943).

11 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بشهر تشرين الثاني وكانون الأول عام 1943).

12 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخاص بشهر أيار عام 1968 للميلاد وشهر صفر سنة 1388 للهجرة).